

دور الفرسان في إدارة موارد وملكيّات أراضي الإمبراطورية الرومانية في شمال إفريقيا
**The role of the knights in managing the resources and land properties of the
roman empire in North Africa**

بوغابة نوال^{1*}، إعيشوشن واعمر²

¹ جامعة الجزائر 2 - nawal.boughaba@univ-alger2.dz

² جامعة الجزائر 2 - ouamar.iaichouchen@univ-alger2.dz

مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط - جامعة الجزائر 2

تاريخ النشر: 2024/12/31

تاريخ القبول: 2024/12/21

تاريخ الإستلام: 2024/10/30

الملخص

تميز الفرسان بمهارات فنية وتقنية متعددة، وهو ما جعلهم فعالين في مختلف مجالات الحياة المدنية الرومانية. تظهر الأدلة التاريخية والأثرية الحضور المكثف لتلك الشخصيات حول أماكن النشاط الاقتصادي، وأنهم جزءا من النظام الإداري الروماني. ألهم وأعدّهم العمل في الميدان العسكري على الإشراف على مختلف المسؤوليات الإدارية لاحقا. في هذه الدراسة سنسلط الضوء على أهمية التجربة العسكرية لهؤلاء القادة والضباط وتأثير السياق الجغرافي لمنطقة شمال إفريقيا في نجاح إدارة موارد، أموال وملكيّات أراضي الإمبراطورية الرومانية، مبرزين مرونة وبرجماتية سياسة الأباطرة الرومان.

الكلمات المفتاحية: الفرسان، الإدارة الرومانية، موارد الإمبراطورية، شمال إفريقيا.

Abstract

Equestrians knights were renowned for their various artistic and technical skills, which enabled them to excel in different aspects of roman civilian life. Historical sources and archeological evidence indicate their significant presence in economic circles and their role in the roman administrative system. Their experience in the military service has given them access to many positions of administrative responsibilities later on. This study highlights the importance of these military officers and the geographical context of North Africa in successfully managing resources and properties within the roman empire, emphasizing the pragmatic policies of roman emperors.

Keywords: knights, roman administration, imperial resources, North Africa.

* المؤلف المرسل

مقدمة:

تعتبر الحضارة الرومانية واحدة من أبرز الحضارات التي حققت تقدماً غير مسبوق في مختلف مجالات الحياة. الفضل الكبير في ذلك يعود لدور العبقريّة العسكرية الرومانية والتي لم يقتصر إسهامها فقط في تطوير مجالها العسكري بل شمل القطاعات المدنية. قام الأباطرة بإعادة توظيف العناصر المميزة من قادة وضباط منظومتها العسكرية في إدارة القطاعات الهامة والحساسة، كما قاموا بتوسيع مهامهم إلى إدارة العمارة والعمران، الاقتصاد، السياسة، القضاء، الأمن، وإدارة وحكم المقاطعات، بالإضافة إلى الفعاليات الثقافية والدينية.

خلال إجرائنا لبحث في هذا الموضوع توصلنا إلى جمع عدد معتبر من النقيشات التي خلّدت أدوارهم وبيّنت أن أغليبيتهم كانوا ينتمون إلى نظام الفرسان، واستوقفتنا ملاحظة تخص دورهم الكبير في إدارة وتسيير وتنظيم الموارد، الأموال وملكيّات الأراضي الإمبراطورية الرومانية، واختيار أمهر العناصر منهم لتسيير هذا القطاع لكونه هو الأكثر حساسية لأنه يتعلق بالأمن الغذائي الروماني والذي يعتبر بدوره المحور المركزي لأمن واستقرار روما. فكيف توصل الكثير منهم إلى توسيع سلطاتهم إلى مختلف القطاعات الهامة والحساسة في الإدارة الرومانية؟

إذا كانت هذه السياسة والاستراتيجية مرتبطة بقرارات الأباطرة مباشرة والتي بدأت منذ عهد أغسطس، وأن سلطة هؤلاء المشرفين والإداريين مستمدة من سلطة الإمبراطور، فكل أهداف وشروط ومعايير تعيينهم وصلاحيات تدخلاتهم مرتبطة بالإمبراطور الذي يعينهم. كما أن اختيار من سيقوم بإدارة هذا القطاع وتسييره خاضع لعدة شروط سببها في هذا البحث. وسيتم ذلك من خلال تسليط الضوء على قيمة المهارات التي اكتسبها الفرسان في المجال العسكري كشرط أساسي ثم كيفية انتقاء أو اختيار العناصر المؤهلة ليتم تنصيبهم كمسؤولي إدارة موارد وأموال وملكيّات أراضي الإمبراطورية الرومانية متخذة شمال إفريقيا كإطار جغرافي، مبرزة أن الانتماء أو العمل في المجال الجغرافي للمنطقة كان أحد معايير الاختيار، وإبراز أثره في تفعيل الأنشطة الاقتصادية، وكذا إبراز الديناميكية التي تميز الهرمية الإدارية والترابط والتدرج في الوظائف الإدارية، اعتماداً على أمثلة من نصوص إيبوغرافية وتقديم معطيات نظرية لمحتوى هذا الدراسة.

1- سياسة الأباطرة في إدارة موارد وأموال وملكيّات الإمبراطورية الرومانية:

بعد فشل النظام الجمهوري في روما وتصاعد الحرب الأهلية، أعلن أغسطس التحول إلى نظام إمبراطوري باسمه، فكانت بداية عهد جديد سيشهد تحولات هامة، خاصة مع ظهور مقاطعات كبرى. في إطار مبادراته بإصلاح وإعادة تنظيم القطاعات الحيوية، قام بإعادة توزيع المناصب ووضع رجال أكفاء ومخلصين له على رأس تلك المهام. فأوكل عدد كبير من الوظائف الحكومية والإدارية لأعضاء من الفرسان، والتي كانت سابقاً حكراً على أعضاء طبقة مجلس الشيوخ.

1-1 الفرسان في إدارة موارد وملكيّات أراضي الإمبراطور والدولة الرومانية:

بسبب فشل أعضاء مجلس الشيوخ في تجديد ومسايرة تطور الإمبراطورية واحتكارهم لكل مناصب الحكم في الجمهورية الرومانية، توجه الإمبراطور أغسطس إلى تعويضهم بعناصر من فئة الفرسان. استقدم منهم عدد كافٍ وأعطى

لكل واحد منهم لقب وكيل (*Procuratores*)¹ وزود نظامهم بقانون يحميهم ويخول لهم حق تأدية مهامهم دون استشارة أعضاء مجلس الشيوخ. ووجه الإمبراطور العديد من هؤلاء الفرسان الشباب إلى المقاطعات بسبب التزاماتهم العسكرية، والوظائف المالية الهامة، وزاد من أعدادهم بشكل كبير على حسب ما كانت مناصبهم العسكرية². في المقابل قلل من دور أعضاء مجلس الشيوخ وأصبحت لهم مسؤوليات محددة كإدارة توزيع القمح المجاني للمستفيدين في روما العاصمة وحملوا لقب *praefecti frumenti dandi ex sentus consulto ceralis*³.⁴

بالإضافة إلى ذلك قام أغسطس بتنصيب عناصر من العبيد والمعتقين على رأس هيئات إدارية مسؤولة عن المراسلات الإمبراطورية أو الحسابات العامة في روما ومقاطعاتها وأعطيت لهم صلاحيات واسعة، فكانوا على حد قول جيروم فرانس Jérôme France: "هم عمليا وزراء الإمبراطور"⁵.

رغم نجاح إصلاحات أغسطس إلا أنها خلقت توترات بين الطبقات الاجتماعية في السلطة وأخطرها الخلاف الذي حدث بسبب استياء أعضاء مجلس الشيوخ وفئة الفرسان من تنصيب هؤلاء المعتقين على رأس تلك الوظائف الهامة، وبلغ هذا الخلاف ذروته في عهد حكم عائلة الأنطونيين ليقوم الإمبراطور تراجانوس (*Trajanus*) باستبدال هؤلاء الوكلاء المعتقين بوكلاء من نظام الفرسان وإنشاء إدارة وكلاء لامركزية على رأس تلك المكاتب الاستشارية والخدمات الإدارية الإمبراطورية⁶. وكانت هذه الإجراءات بمثابة حل لتهدئة أعضاء مجلس الشيوخ وإعادة القليل من الاعتبار لهم. وفي عهد الإمبراطور أدريانوس (*Hadrianus*) نصّب الفرسان بالإدارة المركزية وفق تسلسل هرمي صارم للغاية وعلى جميع الخدمات التي كان يرأسها كبار شخصيات مجلس الشيوخ ما سمح بالرقابة الصارمة على عائدات الضرائب، مكلفا هؤلاء الفرسان بمسؤولية التحكم في إحصاء التعداد السكاني وتقديم التقارير المباشرة له⁷. هذه السياسة كانت تهدف في التحكم في كل موارد الإمبراطورية الرومانية وجعلها تحت الرقابة والسيطرة الدائمة.

¹ Martin, J-P. *Histoire romaine*, Armand Colin, Paris, 2003, p. 204. ; Martin, J-P. (2017). Préfet Romain, *Encyclopaedia Universalis*. Universalis.fr.

² De Leat, S. J, « La composition de l'ordre équestre sous Auguste et Tibère », *Revue belge de Philologie et d'Histoire*, 20(3-4), 1941, p. 509.

³ Van Berchem D., *Les distributions de blé et d'argent à Rome sous l'Empire*, Georg et Cie, Genève, compte rendu de De Laet Siegfried J, in *L'Antiquité Classique* Année 1940, 9(1), p. 69.

⁴ Daguet-Gagey, A. *Auguste et la naissance des services publics à Rome* : (Dir.) Stéphane Benoist, Anne Daguet-Gagey et Christine Hoët-van Cauwenberghe, *Figures d'Empire : fragments de mémoire. Pouvoirs et identités dans le monde romain impérial*, (éd.) Presses universitaires du Septentrion, Villeneuve, 2011, p. 341.

⁵ France, J., « Fiscalité et société politique romaine », In. Rome et l'Etat moderne européen, *Publication de l'Ecole Française de Rome*, 377, Rome, 2007, p. 366.

⁶ Christol M., « L'administration et la gestion des ressources de la province d'Afrique à la transition du Haut-Empire et du Bas-Empire ». *Cahiers de Centre Gustave Glotz*, 17, 2006, p.221.

⁷ Petit, P., et Le Bohec, Y. (2007). *Rome et l'Empire romain- Le Haut Empire*, Encyclopædia Universalis, Digital Versatile Disc, 2007, p. 4.

فيما يخص منطقة شمال إفريقيا كانت البداية بتطبيق هذه الإجراءات خاصة بعد استقرار الفرقة الأغسطسية الثالثة في لامبيزيس (*Lambaesis*)⁸، تبع ذلك حملة تعيين وكلاء المقاطعات أيضا (*Procurator provinciae*)، وكانوا ينتمون إلى نظام الفرسان. أوكلت إليهم مهمة الإشراف على الإدارة المالية لتلك المقاطعات ولا سيما تحصيل الضرائب. كما كان لكل وكيل مقاطعة مجموعة من الموظفين الذين يعملون تحت إمرته، منهم مساعد من نظام الفرسان يأخذ لقب (*Auditor procuratoris Caesaris Augusti équestre*) ويلقب أيضا (*Subprocurator*) ومنهم من المعتمدين الإمبراطوريين يشتغلون أمناء الأرشيفات (*Tabularii*) ويساعدونهم عمال خاصون بهم (*Adiutores*). ومع مرور الوقت أضيف منصب جديد يشغله وكيل من رتبة فارس مكلف بفرض ضريبة تقدر بنسبة 5% على ممتلكات المواطنين الرومان⁹.

وإن كان الفضل في نجاح تسيير الإدارة يرجع للمعتمدين، إلا أن هذا لم يكن ليتحقق لولا فضل الفرسان في تأدية مهامهم وإشرافهم على تلك الأمور الإدارية¹⁰. أن النجاح الذي حققه في تسيير الإدارة أكسبهم ثقة ومكانة عند الأباطرة وفتح لهم مجال توسعت فيه مهامهم لتشمل القضاء، إدارة المقاطعات، ومناصب إدارية عليا في روما ولا سيما إدارة الأنونا (*Annonae*) بما فيها الخدمات اللوجستية المرتبطة بتسيير هذا القطاع الحيوي¹¹. ومعه كل فروع إدارة موارد القطاع الاقتصادي¹².

2-1 الفرسان في إدارة أنونا القمح:

بعد التحكم في إحصاء السكان في الإمبراطورية الرومانية والذي تم إجراءه لأول مرة في عهد أغسطس أصبح بإمكان الإدارة أن تُجري أيضا إحصاء لتوزيع سكان المقاطعات وتقييم القدرات الإنتاجية للأراضي لتكون مرجعية لتحديد مقدار الضريبة المباشرة بشكل عادل خاصة ضريبة الأراضي (*Tributum soli*) وضريبة الرأس (*Tributum capitis*) التي كان مطلوبا من كل مجتمع دفعها للخزينة الرومانية¹³.

كان لمقاطعات شمال إفريقيا خاصة البروقنصلية ونوميديا قدرات إنتاجية عالية في موارد الحبوب، الزيتون، النبيذ والسلع الخاضعة للجباية وإيرادات الضرائب¹⁴، كما أنها حافظت على استقرار إنتاجيتها ولم تشهد أزمات كالتّي أصابت المقاطعات الغربية (الأوروبية) في النصف الثاني من القرن الثالث. فكان لها الدور الأساسي في تزويد روما بتلك المنتجات خاصة مادة القمح¹⁵. لهذا السبب أوكلت للفرسان منذ عهد أغسطس إدارة موانئ ومدن هذه المقاطعات¹⁶، كما

⁸ Christol M.,...art-cit, p.223.

⁹ Edmondson, J., « Les provinces hispaniques et l'impact du pouvoir romain : l'exemple de la Lusitanie (Fin du I^{er} siècle av. J.-C. –fin du II^e siècle ap. J.-C.), Van Ruymbeke », Th (trad.), In : *Rome et L'Occident (II^e siècle av. J. C., -II^e siècle apr. J. C.)*, Presses Universitaires de Rennes, Rennes, 2011, p. 261.

¹⁰ France, J.,...art-cit, p. 366.

¹¹ Martin, J-P.,...Op-cit, p. 204.

¹² De Leat, S. J.,...art-cit, p. 509.

¹³ Edmondson, J.,...Op-cit, p. 261.

¹⁴ Christol M., ...art-cit, p. 221.

¹⁵ *Ibid*, p. 219.

¹⁶ Rougé, J., *Les Institutions romaines de la Rome royale à la Rome chrétienne*, Armand Colin, U2, Paris, 1991, p. 83.

فوضت لهم إدارة المالية العامة ومراقبة ميزانيات مدنها وإدارة وتحصيل الضرائب المستحقة فيها. مما ساهم في التحكم أكثر في عائدات الضرائب والنفقات المحلية¹⁷.

اعتمدت في بحثي على مجموعة من النصوص الإيبوغرافية، سأبرهن من خلالها أهمية إدراج هذه الفئة في إدارة هذه الوظائف، والتحكم فيها حتى بدايات فترة الحكم الرباعي¹⁸. نقيشة ل: Titus. Flavius Macer¹⁹

*Ti(ito) Flavio, T(iti) f(ilio) Quirina tibu), Macro/ duumviro, flamini per/petuo
Amaedarensium/ praef(ecto) gentis Musulamio/rum, curator frumenti comprandi in annona (m)/
Urbis facto a divo Nerva Tra/iano Aug(usto), proci uratori) Augu(usti) a(dpr) aedis saltus
Hippon(ens(is) et Theve(st)ini, proci uratori) provinc(i)ae S(ic)iliae collegum Larum Caesaris
n(ostr)i et liberti et familia, item conductores qui in regione Hipponi(ens)i consistent.*

هو فارس من مستوطنة كالما (Calama)، وأصوله من حيدرا (Amaedara)²⁰، تقلد منصب عضو المجلس المحلي ديبومفير (Duumvir). وكان أحد الوجهاء المحليين الذين ارتقوا في الرتب الإدارية في نظام الفرسان داخل مقاطعة إفريقيا. بدأت مسيرته الإدارية بتعيينه حاكما لقبيلة الموزولام (Praef(ectus) – gentis Musulamoirum)²¹، وقيم على أنونا القمح في إفريقيا (Curator frumenti comparandi in annonam Urbis) من قبل الإمبراطور تراجانوس، فكان مسؤول عن عمليات شراء القمح لروما²² من شمال إفريقيا في الفترة التي أصبحت فيها مقاطعات هذه المنطقة خاصة البروقنصلية ونوميديا المصدر الرئيسي لإمدادات روما بالقمح. وقد حقق مهمته بنجاح عندما ساهم في ضمان إمدادات القمح اللازم لتلبية الاحتياجات الغذائية لسكان روما، خاصة في سياق الأزمات الغذائية كالتى كانت تشهدها مصر بسبب فيضان النيل²³. وفي منتصف القرن الثاني تقريبا أسندت له مهمة الوكيل العام على الأراضي التابعة للإمبراطور والواقعة بين (Hippone و Theveste)²⁴.

تم اختيار فلافيوس ماكر لكونه أحد أهم شخصيات نظام الفرسان. أدى مهام إدارة موارد تلك المنطقة التي عُرفت بكثرة إنتاجها للقمح منذ العهد الملكي النوميدي، ولكونه الأكثر خبرة من غيره في معرفة هذه المنطقة ومجتمعها وأرضها واقتصادها، فكان له دور في تنظيم موارد الحبوب. كما ساهمت سمعته الطيبة ومرونته بإقامة روابط وعلاقات جيدة

¹⁷ Daguet-Gagey, A., ...Op-cit, p.35

¹⁸ Christol M.,...art-cit, p. 246.

¹⁹ CIL, VIII, 5351 = ILAlg, t. 1, 285 = ILS, 1435.

²⁰ Christol M., « Le blé africain et Rome. Remarques sur quelques documents ». In. Le Ravitaillement en Blé De Rome et des centres urbains des débuts de la République jusqu'au Haut-Empire. Acte du colloque international de Naples, 14-16 Février, 1991. Rome : Ecole Française de Rome, 196, 1994, p. 297-302.

²¹ Cébeillac- Gervasoni, M. Ostie et le Blé au II^e siècle ap. J-C, In. Le Ravitaillement en Blé De Rome et des centres urbains des débuts de la République jusqu'au Haut-Empire, éd. Ecole Française de Rome, Naples-Rome, coll. CJB, 11 ; coll. EFR, 196, 1990, p. 48.

²² Rickman, G., The Corn Supply of Ancient Rome, Oxford University Press, 1980, p. 231.

²³ Ibid, p.231-235.

²⁴ Leveau, Ph. « L'aile II des Thraces, La tribu des Mazices et les praefecti gentis en Afrique du Nord », Antiquités Africaines, 7(1), 1973, p. 177.

بزعماء القبائل المحلية، ومكنت معرفته الجيدة بقبيلة الموزولام والتي عرفت من خلال صراعا ومواجهاتها العديدة والعنيفة ضد الرومان، من دعم المبادرات المحلية بإنشاء روابط التقارب والسلم بين سكان تلك القبائل المحلية والسلطات الرومانية. كانت المقاطعات الإفريقية أهم مقاطعات الإمبراطورية الرومانية من حيث الموارد، خاصة الحبوب، مما جعلها محط أنظار واهتمام السلطة الرومانية التي أوكلت إدارة مواردها إلى أفضل الفرسان. وقد ساهم ذلك في اكتسابهم لخبرات متعددة، حيث شكلت المنطقة الخصبة مجالا هاما ومميزا لتطوير مهاراتهم، خاصة في مجال إمدادات الحبوب وتوزيعها. هذه المواد كانت ضرورية لسكان المنطقة، وإمدادات الجيش الروماني ومدينة روما العاصمة خاصة. كما ساعدت الخبرة في ربط الإدارة المحلية بالاحتياجات الاقتصادية لروما.

1-3 الفرسان في إدارة الأموال وأراضي الإمبراطور:

عرفت شبكة إدارة الموارد وملكيات الأراضي التابعة للأباطرة في إفريقيا تطورا مهما. يهدف هذا التطور إلى ضمان إدارة جيدة، وضمان نيابة عن السلطة الرومانية والإمبراطور وتحفيز القوى المنتجة²⁵. طوال القرن الأول للميلاد وبداية القرن الثاني كان وكيل من نظام الفرسان على رأس الإدارة المالية وإدارة الأراضي، حمل هذا المسؤول الأعلى لقب (*Procurature provinciae Africae*)، كان مرتبطا بالإمبراطور وله صلاحية إدارة الملكيات الشخصية باسمه ومن ناحية أخرى الإيرادات العامة التي يملكها الإمبراطور ومسؤولية الإدارة العامة. ويعتبر بلين الأكبر (Plin l'ancien) أحد هؤلاء الوكلاء الإداريين²⁶.

يشير نص من كيرتا²⁷ إلى مسار وكيل رتبة فارس (*Marcus Claudius Restitutus*) أرخ الباحثين النص بين عامي 138 و161م. بدأ هذا الفارس مسيرته العسكرية في إفريقيا كحاكم الكتبية الأولى للجيتول (*Prefet de la Chohors I*) ثم أصبح تربيون في الفيلق السابع لجيمينا (*Tribun dans la Legio VII Gemina*). ثم ترقى ليتولى وظائف مدنية بما في ذلك إدارة الشؤون المالية في المدن الحرة في سوريا. وبعدها عاد إلى موطنه ليتولى منصب وكيل الإمبراطور في أبرشية حزموت (*Hadrumatum*) والتي شملت أيضا إقليم هيبون-تيفست، ليكون بذلك قد وسع نطاق حكمه على أراضي واسعة. تشير النقيشات إلى سلطته ودوره الفعال في هذه الأقاليم ذات التنظيم والتسيير الإداري الجيد، وفي نفس الوقت ذات الإدارة المعقدة والمالية الخاضعة لسلطته، وهذا يعكس اهتمام السلطة الإمبراطورية بضممان تحكم أكبر في جميع الموارد الناتجة عن تطور القوى المنتجة²⁹.

M(arco) Claudio Q(uinti) F(ilio) Quir(ina) Restituto, Proc(uratori) Aug(usti) dioeceseos Regionis Hadrumetinae et Theuestinae et ludi matutini et ad putandas rationes Syriae ciuitatium,

²⁵ Christol M., « L'administration et la gestion des ressources de la province ...art-cit, p. 220.

²⁶ Pflaum H.G. *Les Carrières procuratoriennes sous le Haut-Empire romain*, Paris, 1960-1961, n°158, p. 106-111.

²⁷ *CIL*, VIII, 7039. (ILS, 1437)= *ILAlg*. II, 1, 665. ; Pflaum, H.G.,...*Op-cit*, p. 379-385.

²⁸ Spaul, J. *Cohorte : Les preuves et une brève histoire des unités d'infanterie auxiliaires de l'armée impériale romaine*, British Archaeological Reports, BAR International Series 200, 2000.

²⁹ Christol, M., « L'administration et la gestion des ressources de la province ... » *art-cit*, p. 225.

trib(un)o leg(ionis) VII Geminae, praef(ecto) coh(ortis) I Gaetulorum, Alexandrer Aug(usti) lib(ertus) tabul(arius) d(edit) d(edicauit).

تظهر الوثائق الإبيغرافية استمرارية تطور الهياكل الإدارية خلال القرنين الثاني والثالث. يوصف الفارس الروماني من مستوطنة مادوروس (*Titus Iulius Sabinus Victorian*) بأنه أحد الوجهاء الإفريقيين. يظهر نص النقيشة الأولى أنه تحصل على شرف (*Centenarius vir*)³⁰. غالبا ما كان يمنح هذا اللقب للشخصيات البارزة التي تولت مناصب مهمة.

T(ito) Iulio Sabino Victoriano, eq(uiti) R(omano), fl(amini) p(er) p(etuo), centenario uiro gloriosae innocentiae, probatae fidei, Q(uintus) Calpurnius Honoratus, fl(amen) p(er) p(etuus), (T(titus) Fl) auus Victorianus, (T(itus) F) lauiu(s---) ianus, fl(amen) p(er) p(etuus), (-) Iuliu (s Ve) nustus, (-) Cornel(ius) Saluius Cha(e) re(as p) arentes laudabil (i---a) uo et (auunculo---).

ويظهر في نص النقيشة الثانية³¹ على أنه ترقى لرتبة وكيل مسؤول عن إدارة أراضي الإمبراطور في إقليم لبتييس ماغنا (*procurator Augusti patrimonii regionis Leptimensis*). تبرز المناصب التي شغلها والألقاب التي حاز عليها أهمية دوره في الإدارة الرومانية والحياة الدينية وعلى تعقيدات الحكم الإقليمي الروماني، وتُشير من جانب آخر إلى الانتقال الناجح إلى الحياة المدنية، وهو غالبا ما يكون نموذجيا للفرسان الذي سعوا إلى الحفاظ على وضعهم الاجتماعي بعد الخدمة العسكرية.

يوضح من جهته ميشيل كريستول أن التسلسل الهرمي للوكلاء أصبح أكثر تعقيدا مع مرور الوقت وذلك من خلال تحليله لنص إبيغرافي آخر مؤرخ بعد سنة 238م. يشير هذا النص إلى وكيل من رتبة الدوقية جاء إلى حضر موت للإشراف على وكلاء من رتبة المئوية³². إذن كانت هذه الوظائف جزءا من نظام أوسع حيث تكلفت بمهام الإشراف على الأراضي الكبيرة، وهذا ما قد يساعد في فهمنا للهياكل الإدارية للاقتصاد الروماني في شمال إفريقيا.

وهنا يظهر مرة أخرى ترابط وتدرج الوظائف المدنية ومسؤوليات هؤلاء الفرسان في سياق إدارة الموارد الأساسية للإمبراطورية والإشراف عليها وتنظيم عمل القوى العاملة كعمليات المراقبة، والأمور اللوجستية، مما ضمن تأدية المهام التي كُلفوا بها بشكل جيد.

1-4 الفرسان في مناصب محامي الضرائب:

من أجل الدفاع على مصالح السلطة الرومانية ضد دافعي الضرائب في المحاكمات، أنشأ أديانوس وظيفة محامي الضرائب (*Advocatus Fiscis*)³³ بهدف التقليل من الانتهاكات والفساد ووضع معايير لضمان جمع عادل وشفاف

³⁰ Ballu, A, 1919, *BCTH*, 2^e livraison (1988), Paris, p. 71. ; *AE*, 1920, 17= Gsell, *ILAlg.*, I, 2118.

³¹ Recueil des Sociétés des Archives de la Commune (RSAC), (1906), n° 419. *AE*, 1907, 238.

³² Christol, M., « L'administration et la gestion des ressources de la province ... » *art-cit*, p. 231.

³³ Jean Jaurès, *Advocatus Fiscis*, Le Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines De Daremberg et Saglio.

للضرائب. يشير نص نقيشة من مدينة لامبيزيس يؤرخ بالقرن الثالث للميلاد إلى أحد الأعيان المحليين. هو الفارس *Aelius Rufus Lanuarius* شغل منصب الديومفيير في بدايات مسيرته المهنية. مارس هذا الفارس عدة وظائف ومسؤوليات داخل الإدارة الرومانية في إفريقيا. شغل وظيفة محامي الضرائب مثل من خلالها المصالح المالية للدولة الرومانية في ثلاث هيئات قضائية مختلفة، حيث ساهم في تقديم المشورة للسلطات المحلية حول تنفيذ السياسات الضريبية بسهولة بين الدولة والمواطنين. بعدها كُلف بمسؤوليات أخرى كقيم على الأنونا وإدارة وتسيير الشؤون المالية الضريبية والموارد والإمدادات الغذائية³⁴.

يفسر التطور الذي بدأ في نظام الإدارة الرومانية منذ القرن الأول خاصة والذي تم فيه تفويض الفرسان على رأس المسؤوليات الضريبية، والتي لعبوا فيها دورا مركزيا في إدارة كل شؤون المالية العامة، إلى حاجة السلطة إلى إدارة أكثر كفاءة في مواجهة توسع الإمبراطورية وتعهيدات النظام الضريبي المتزايدة.

(.) *Aelio Rufo lanua(r)io, v(iro) e(gregio), fl(amin) p(er) p(etuo), duumvira/licio, D O R P curator/ ad fisci advocaciones/ ter numero promoto/ Thevestinam Hadrumeti/ nam Tham(g) (adensem), ad annonam/ perp (etuo), a mili (tiis); Victorinus/ fl (amen) p(er) p (etuos), Ilvir et Hor (atius) Paritor a mil (itiis)/ Ilvir concordissimo frati.*



صورة 01: نص النقيشة التي تم من خلالها ذكر محامي الضرائب (*Aelius Rufus lanuarius*)

Dupuis. X., *Aelius Lanuarius, curateur et avocat du fisc en Afrique au III^e siècle, cahiers de centre* Gustave Glotz, 27, 2016, p.377

1-5 الفرسان في تنظيم وإدارة المصالح الدينية:

بالإضافة إلى الوظائف المدنية ومسؤوليات الحكام، الوكلاء والقيمين في سياق إدارة الموارد الأساسية للإمبراطورية وفي عملية التحكم في إنتاج الموارد الغذائية والإشراف عليها، ساهمت مشاركتهم في الخدمات الدينية في تعزيز حماية الموارد من خلال ضمان رضا الآلهة بالسهرة على تنظيم الاحتفالات والأعياد والطقوس وتقديم القرابين

³⁴ David, J-M. « Réformes des administrations de l'annone et des domaines en Numidie, pendant la persécution de Valérien (257-260), à propos de *CIL*, VIII, 2757 ». *Ant.Afr.*, 1977, p. 149.

لاستعطافها ونيل رضاها، مما كان يُعتبر ضرورياً لتفادي الكوارث الطبيعية كالحرائق والفيضانات والجفاف والحفاظ على المحاصيل المخزنة، وأثناء عمليات نقلها برياً وبحرياً.

وبما أنّ هذا القطاع لا يقل أهمية عن باقي القطاعات فكان الأباطرة يقومون في إطار اعتراف أو ترقية منهم لهؤلاء العناصر بعد انضمامهم لنظام الفرسان بمنحهم منصب الكاهن الدائم (*Flamen perpétue*)، مما يمثل تقدماً مهماً في مسيرتهم المهنية وضرورة التزامهم بالطقوس والمسؤوليات المرتبطة بهذا الدور. يعتبر فلافيوس ماکر أحد أشهر هذه الأمثلة، حيث شغل منصب الكاهن الدائم لمدينته الأصلية حيدرة، وكان راعي لكوليجيا المعبودة لاريس (*Lares*) حامية الثقافة الرومانية، مكلفاً بتنظيم الاحتفالات الدينية، وتكريم هذه الآلهة من خلال ممارسة الطقوس والعبادات.

مثال آخر عن الفارس (*M. Vettius Latro*) من أصل إفريقي مسجل في قبيلة كويرينا. كان نشطاً في بداية القرن الثاني للميلاد. ورد اسمه في النقيشات الموجودة في ثوبوربو مايوس³⁵. مارس وظائف عسكرية، إدارية ودينية هامة. عين كاهن في العبادة الإمبراطورية (عبادة المؤله أغسطس *flam-divi-Aug-Sa cerd -cer*) في 93م، وكاهن للمعبودة سيريس (*Céres*) في 137م³⁶. كان للمعتقدات الدينية مكانة مهمة في المجتمع الروماني، وكان للوظائف الدينية دور مهم في الحفاظ على الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية.

M(arco) Vettio C(ai) f(ilio) Quir(ina) Latroni/ flam(ini) divi Aug(usti) sac(erdoti) Cer(erum) anni /CXXXVII equo pub(lico) et in quinq(ue) dec(urias) adel(ecto) /praef(ecto) coh(ortis) I Alpinor(um) /aqui(atae) donis don(ato) ab Imp(eratore) Caes(are) / Ner(va) Trai (ano) Aug(usto) Ger(manico) Dac(ico) bello Dac(ico) has/ta pura corona murali vexil/lo arg(enteo) trib(un) mil(ituim) leg(ionis) II Adiutric(is) / Piae Iid(elis) preaf(ecto) alae Silianae /civium R(omanorum) torquatae armil/latae proc(uratori) annonae Ostiae et / in Portu / proc(uratori) Alpium Cottiarum/ proc(uratori) Mauretaniae Caesariensis/ M(arcus) Vettius Eulhychi/des Lib(ertus) patrono/ opt(imo) d(ecreto) d(ecurionum).

1- 6 الفرسان في إدارة الميدان الأمني:

وكما يظهر في نص النقيشة السابقة شغل الفارس "فيتيوس لاترو" العديد من الوظائف العسكرية والإدارية التي أكسبته خبرة عالية في المجال الأمني. شغل منصب حاكم كوليجيا الفابري (*Praefectus fabrum*) في حوالي 98-99م. ثم تولى قيادة الكتيبة الأولى لجبال الألب-كقائد عسكري (*Praef-coh-p Alpin*) حوالي 101-102م، وبعدها تربيون للفيلق الثالث أديوتريكس (*Trib-MIL-Leg-II Adiutr*) كضابط أعلى في بانونيا حوالي 103-104م، ومسؤول عن ميليشيات الفرسان (*militia equitum*). شارك في الحروب الداسية تحت حكم الإمبراطور تراجانوس، وحصل على العديد

³⁵ CIL, VIII, 7987.

³⁶ Poinssot, L., « M. Vettius Latro, procureur de Maurétanie Césarienne ». In : Comptes rendus des séances de L'Académie des Inscriptions et Belles- Lettres, 83(2), 1939, pp. 138-150.

من الأوسمة العسكرية. ثم حاكم لسليانا (*Praefectus Vala Siliana Civium*)، ثم وكيل للأنونا في أوستيا (*proc(uratori) annonae Ostiae et/ in Portu*) في حوالي 112م، ثم وكيل مقاطعة صقلية (*proc.Siciliae*)، وبعد انتهاء عهده في صقلية عاد لموطنهم شمال إفريقيا ليشغل منصب حاكم مقاطعة موريطانيا القيصرية حوالي 128-131م (*proc(uratori) Mauretaniae Caesariensis*)، وبالتالي فكان مسؤول عن جميع القضايا العدلية وأمن المقاطعة التي لطالما شهدت اضطرابات خلال كل الفترة الرومانية، وبالنظر إلى كل الوظائف التي عهدت لهذه الشخصية فيرجع لخبراته السابقة والمتعددة خاصة في مجال الأمني³⁷.

إن مختلف الكوليجيات (*Collegium*) كالفابري والفرومنتاري التي وجدت بالمدن الرومانية كانت تمثل شكلا من أشكال التعبير السياسي. أولكت مهمة إدارتها وتسييرها والإشراف عليها خاصة للفرسان ولقدمات المحاربين، فكان يشكلون الهيئات الوسيطة بين السلطات المحلية والسلطة المركزية في روما³⁸. تعتبر كوليجات الفابري المكلفة بمهمة مكافحة الحرائق ومراقبة أعمال البناء والترميم، وكوليجيات الفرومنتاري المكلفة بأنونا القمح، من أهم التنظيمات التي تشترك في الحفاظ على الأمن. فالأولى كانت تتكلف بأمن المباني العمومية والخاصة، خاصة مستودعات ومخازن المؤونة الغذائية. أما الثانية فتكلفته بهمام المراقبة والقياس ومنع الغش وجودة المنتج. وبالتالي كان لخبرة هؤلاء الفرسان في الميدان الأمني كما هو الحال بالنسبة "فليتيتيوس لاترو" أهمية في الحفاظ على أمن الموارد الإمبراطورية وفي مقدمتها القمح، كما أن اندماجهم في تلك الكوليجيات يعكس أهمية الروابط بين المجتمعات المهنية والنخب الرومانية التي قدمت الحماية والدعم لهم مقابل الاعتراف الاجتماعي، كما شكلت وسيلة تواصل بينهم وبين مجتمعاتهم. ومن جانب آخر تعكس المسيرة المهنية لتلك الشخصيات إلى الفرص التي أتاحت لهم كحكام، قادة وضباط ساميين في الإدارة المحلية والإقليمية في الإمبراطورية الرومانية.

1-7 الفرسان في المهن غير الرسمية:

بعيدا عن المناصب الرسمية والمسؤوليات ظهرت عدة شخصيات من نخبة الفرسان. إذ وضحوا خبراتهم العسكرية في العمل العلمي ونقدم فيه هذا المبحث مثالين.

المثال الأول: من لا يعرف بلين الأكبر *Plinius l'Ancien*، قبل أن ينال شهرته ككاتب في المجال العلمي كان قد اشتغل في تحصيل الضرائب في إفريقيا البروقنصلية. كان لتجربته الميدانية أثر في تجسيد كتابه "التاريخ الطبيعي" *Histoire naturelle* حيث استطاع أن يستقي معلومات جد مهمة واكتساب معرفة واسعة ومباشرة بالموارد

³⁷ Ibid, p. 138-150.

³⁸ Tran N., Introduction générale, In. *Les Membres Des Associations Romaines : Le rang social des collegiati en Italie et en Gaule, sous le Haut-Empire*, coll. de L'Ecole Française de Rome, 367, Rome, 2006, pp. 1-41.

الطبيعية والاقتصادية في المنطقة، وهو ما سمح له بتوثيق أوصاف النباتات والحيوانات والمعادن بدقة وواقعية. كما ساعدت علاقاته مع الخبراء على تعزيز مصداقية كتاباته التي مازالت إلى اليوم سارية المفعول.

كما تناول أيضا في عمله موضوعات مثل الضرائب المفروضة على المحاصيل والممارسات الزراعية والرعي، موضحا كيفية تنظيم الإيرادات الضريبية. وسخر خبراته في هذا الميدان لشرح كيفية إدارة الموارد في الإمبراطورية الرومانية. كما تطرق إلى وصف الانتهاكات وسوء الاستغلال التي كانت تحدث في تلك الفترة والتي كانت سببها الفساد والرشاوي التي توجد داخل النخب المسؤولة عن تحصيل الضرائب بشكل غير عادل وغير فعال، موضحا في عمله كيف كان ذلك يؤثر سلبا على الاقتصاد المحلي واقتصاد روما³⁹. كل هذه المعطيات تظهر كيف قام "بلين الأكبر" بدمج ملاحظاته الميدانية في رؤية أوسع للاقتصاد والإدارة الرومانية في إفريقيا البروقنصلية.

المثال الثاني عن الفارس "كوينتوس غارجيليوس مارسالييس" *Quintus Gargilius Martialis* "من مدينة أوزيا *Auzia*" الذي قدم أطروحة بعنوان "العلاجات من الخضروات والفواكه" *Medicinae ex holeribus et pomis* "مستلهمة بشكل أساسي من التاريخ الطبيعى "بلين الأكبر"، وعمل آخر عن زراعة أشجار الفاكهة والنباتات يحمل عنوان البستنة *De hortis/De arboribus pomiferis* ". كما نسبت إليه أعمال أخرى ككاتب للسيرة الذاتية للإمبراطور ألكسندر سيفيروس، الذي أولى اهتمام كبير بالشخصيات الأدبية⁴⁰.

يظهر أسلوب جارجيليوس مارسالييس في نشر المعرفة الطبية المرتبطة بالنباتات والخضروات والفواكه، ودمج الخبرة الشخصية بالطب الشعبي. رغم عدم وجود أدلة مادية على نشاطه الإداري، إلا أن إسهاماته في الطب الغذائي، الصيدلة، الاقتصاد الريفي، وتشجيعه للزراعة المحلية ووصاياه حول فوائد المحاصيل، جعلني أفترض أنها كانت نتيجة خبراته الميدانية في إدارة المجال الزراعي والموارد الغذائية.

2- الدراسة التحليلية:

2-1 ظروف استقدام عناصر من قداماء الجيش في الإدارة المدنية:

بدأ تفويض مسؤوليات تسيير الإدارة الرومانية للفرسان منذ القرن الأول، بدءا بالمسؤوليات الضريبية وإدارة شؤون المالية العامة. ثم أسندت لهم مسؤولية حفظ النظام العام في مدنها، وكأعضاء مميزين في المجالس المحلية لتمثيل مدنها ومجتمعاتهم أمام السلطات العليا وفي المناسبات الرسمية وكممثلتي السلطة الإمبراطورية في المدن، وتولوا مهام الإشراف على الكوليجيات، الجمعيات والتعاونيات الحرفية، المهنية والدينية.

³⁹ PLINE L'ANCIEN, Desange, J. (trad), L'Histoire Naturelle, livre V, 1^{er} partie, coll. Des Universités de France Série latine-collection Budé, 245. Les Belles- Lettres, Paris. 2003, p. 2-524

⁴⁰ GARGILIUS MARTIALIS, Maire, B. (trad), Les Remèdes tirés des légumes et Fruits, coll.367, Les Belles Lettres, 2002, paris.; Zainaldin, J-L, (éd), *The Agricultural Fragments*, Presses de L'Université de Cambridge, 60, 2020.

جاء ذلك نتيجة لتأزم الأوضاع السياسية في هرم سلطة الرومانية بسبب تضارب المصالح الشخصية لأعضاء مجلس الشيوخ. وفي ظل عجزهم على إيجاد الحلول، عمل أغسطس ب عد إعلان نفسه إمبراطورا على روما في تنظيم الإدارة لكي تتجاوب مع توسع وتطور الدولة الرومانية. فكانت الحاجة للاحترازية والثقة دافعا لاستغلال أعضاء من متقاعدي الجيش. وقد اختار منهم عناصر من نظام الفرسان الأكثر براعة وحكمة في التعامل مع الظروف والمستجدات⁴¹، فقام بنقل خبراتهم في إدارة الموارد البشرية العسكرية والتصدي للآزمات الأمنية إلى المجال المدني بتكييفهم مع متطلبات مسؤوليات الإدارة المدنية.

2-2 شروط ومعايير انتقاء الفرسان في المناصب الإدارية:

حتى يتمكن أي جندي سابق أن يشغل مناصب في الإدارة الرومانية وجب أن تتوفر فيه عدة شروط ومعايير، وضعها الأباطرة وهي تتماشى مع ظروف تطور الدولة الرومانية. فكان إلزاما لكل من يتطلع للمهن السامية أن يكون له دورا قياديا في الجيش الروماني⁴². بعد نهاية الخدمة العسكرية في الجيش وخروجهم إلى الحياة المدنية وجب عليهم أن يتولوا مهام في المجال المدني في مدنهم الأصلية أو التي استقروا فيها، بداية بشغل مناصب في المجالس المحلية كماجسترا، ديكتوريون أو ديومفيير والتي تخولهم لإدارة الشؤون المالية وموارد المدينة، وممارسة وظائف قضائية في رئاسة المحاكمات وضمان تطبيق القوانين، العدالة والأمن، وان يكون لهم دور في الإشراف على مختلف الشؤون الدينية، كالعبادات العامة والعبادة الإمبراطورية، الشعائر والطقوس والاحتفالات والأعياد الدينية.

وخلال ممارستهم لمهنتهم يحق لهم الارتقاء في القيادة العسكرية على يد حاكم المقاطعة، بنفس الطريقة التي كانوا يتدرجون فيها خلال حياتهم المهنية العسكرية كجنود، وذلك بالانضمام لنظام الفرسان، وتولي قيادة الفرق العسكرية (ميليشيات الفرسان). والملاحظ في أحد الأمثلة السابقة أنه قد يحدث استثناءات، لأن "ماكر فلافيوس" لم يشغل وظيفة قائد عسكري لأحد الفرق المساعدة أو جناح عسكري، وهذا استنادا للأدلة المتوفرة لدينا. ثم التدرج في الوظائف الإدارية بداية بتتصيصهم حكام قبائل. وأعلى مرتبة في السلم الهرمي لنظام الفرسان قد يصل إليها الفارس هي أن يكون حاكم القضاء (prefet(s) de pretoire)⁴³. يحتمل أن يكون الفارس (P. Cassius...) من مستوطنة كويكول، والذي عرف بمسيرة مهنية لامعة أن يكون قد ترقى لتولي منصب حاكم القضاء⁴⁴.

فوق كل هذا يجب على كل عنصر أن يدفع مبلغ مقداره 400 ألف سيسترس لكي يصبح فارس ويبدأ مهنته، كما وجب ألا ينتمي لنظام مجلس الشيوخ. عندما يتم انتقائه في قائمة رسمية من طرف المسير المالي، يقدم له أوسمة الفارس، خيل، خاتم ذهبي ويرتدي توجا أرجوانية أو ملونة، ويحوز على لقب شرفي⁴⁵.

⁴¹ Daguey-Gagey A.,...Op-cit, p. 341.

⁴² Rickman G., Rome, de la Cité-Etat à L'Empire : Institutions et vie politique, Hachette. 2001, p. 101

⁴³ « Ordre équestre », , Le dictionnaire de l'Histoire. https://www.herodote.net/ordre_equestre-mot-569.php.

⁴⁴ Cagnat. R, BACTH, 1911, Paris, p. 241= AE, 1912, 20.

⁴⁵ « Ordre équestre », ...art-cit.

بالإضافة إلى كل هذه الشروط يمكن الوصول إلى رتبة فارس بقرار من الإمبراطور. فهناك عدد من الأشخاص من الطبقات الدنيا الذين ارتقوا إلى رتبة فرسان بالولاء للأباطرة، إذ تم الاعتراف بالمعتقين الذين أظهروا مهارات معينة. وينص قانون فيسيليا *Lex Visellia*⁴⁶ أنه يمكن للإمبراطور استثناء بعض القواعد. الأمر الذي حدث في عام 38 ق.م عندما اعترف أغسطس بانضمام بومبيوس مينا *Pompeius Menas* الذي كان من طبقة الليبيراليين إلى نظام الفروسية ليكافئه بعد ما خان بومبي (عدو أغسطس)، وكافئ أيضا بهذا اللقب طبيه أنطونيوس موسى *Antonius Musa* لأنه شفي على يديه سنة 23 ق.م⁴⁷. كما يمكننا أن نستشهد بالمثل السابق للفارس جارجيليوس مارساليس الذي يحتمل أنه بالنظر لمعرفته العلمية وولائه للإمبراطور ألكسندر سيفيروس، كلفه هذا الأخير بكتابة سيرته الذاتية والأطروحات الطبية.

2-3 الأصل والانتماء:

أوافق رأي (S. J. De Leat) في دراسته لقوائم أعضاء الفرسان أين توصل لتحديد نسبة منهم تجاوزت الثلث خلال القرن الأول للميلاد كانت تنتمي إلى أصول غير إيطالية⁴⁸. وهذا المثال يوضح ويؤكد لنا أن توزيع الفرسان عبر أرجاء الإمبراطورية لأداء مهامهم كحكام مقاطعات وقبائل كان قائم على الاعتراف بأصولهم الجغرافية والإثنية واللغوية، لأنه لا يوجد أحسن منهم دراية بعادات وتقاليدهم مجتمعاتهم. مثل "فلافيوس ماکر" الذي كان حاكما لقبيلة الموزولام والذي امتلك مهارات الاتصال الفعالة. وقد شجع أباطرة العائلة السيفيرية تطبيق هذه الفكرة بزيادة أعداد الفرسان من أصول إفريقية وشرقية في القرن الثالث⁴⁹. وكان لهذه السياسة التي تبناها أباطرة هذه العائلة من بين العوامل التي ساهمت في كسب ثقة مجتمعاتهم بهم، ما نتج عنه استقرار أوضاع مقاطعات شمال إفريقيا. وما يشهد على ذلك كثرة المباني المشيدة والمهداة لأباطرة هذه العائلة خاصة أقواس النصر⁵⁰. وكان القائد الإفريقي (Gildon) جيلدون مثال عن تلك الشخصيات. عرف بدوره الفعال في حماية المصالح الرومانية في شمال إفريقيا إلى أن كسب ثقة الرومان اللذين كافئوه بلقب ورتبة كونت إفريقيا (Comte) لتصبح كل إدارة المقاطعات الإفريقية بما فيها من فرق وفيالق الجيش الروماني وإدارة القمح والموارد الأساسية في يده. أي كل ما كان يتوقف عليه استقرار الأمن الروماني⁵¹.

يكشف تحليل تلك العناصر التي تنتمي إلى نظام الإدارة الروماني، أن الأباطرة فضلوا الأفراد ذوي مهارات الاتصال والتواصل بغض النظر عن وضعهم الاجتماعي أو أصولهم كاختيار عناصر من شمال إفريقيا. يبرز دور هؤلاء

⁴⁶ Cod. Théod., IX, 20,1= Cod. Just., IX, 21 ; 31, 1.

⁴⁷ De Leat S.,...art-cit, p. 524.

⁴⁸ Ibid, p. 511.

⁴⁹ Perrin, Y. « L'étranger à Rome au Haut-Empire, ou des vertus et des limites d'un questionnement anachronique ». Dans P. Chuvin (éd), *Etrangers et Sociétés*, Rennes: Presses Universitaires de Rennes, 2021, p. 9.

⁵⁰ Leydier-Bareil., A-M. Les arcs de triomphe dédiés à Caracalla en Afrique romaine, architecture et urbanisme, politique et société, thèse de doctorat en histoire de l'art et archéologie, sous-direction de Pr. Yves Grandjean, décembre, université Nancy2, 2006, p.14.

⁵¹ Vannese, M. « L'armée romaine en occident sous Stilchon (395-408 ap. J.-C) : le témoignage des décrets impériaux », *Revue belge de Philologie et d'Histoire*, 88(1), 2010. Antiquité. 99-112. ; Moderan, Y. (1998). « Gildon, (Gildo) », *Encyclopédie berbère*, 20, 3134-3136.

الحكام والوكلاء والمسؤولين في نشر المعلومات وتفاعلهم مع النخب المحلية والسكان والتواصل مع مدن المقاطعات الرومانية الأخرى. مما يدعم فكرة أن الأباطرة اتبعوا نهجا عمليا مرنا في اختيار عناصرهم، كما تظهر هذه الاستراتيجية الاهتمام بالكفاءة بما يتجاوز التحيزات الاجتماعية، وهو ما عزز تماسك الإمبراطورية واستقرارها.

4-2 الفرسان مصدر ثقة الأباطرة:

وفر نظام الفرسان عددا من القادة والضباط الكفؤين بشكل كافٍ. أثبتوا جدارتهم في الحصول على أرقى المراتب الشرفية خلال مساهمهم المهني العسكري، ويصبحوا العناصر الأكثر ثقة لدى السلطات الإمبراطورية، وكانوا في صدارة النخب المثقفة أكثر بكثير من أعضاء مجلس الشيوخ، فكانوا يمثلون جميع القوى الحيوية للإمبراطورية الرومانية. وازدادت أهميتهم ونشاطاتهم وتأثيرهم على قرارات الأباطرة⁵² كما لا يمكن إنكار مهاراتهم القيادية، وإلا لما استطاعت أن تنظم فئة مهمة منهم في الأخير إلى نظام مجلس الشيوخ الروماني.

5-2 الفرسان شخصيات مرتبطة بشخصيات الأباطرة:

عندما كانت شخصية الأباطرة قوية كان الفرسان يتمتعون من جهة باحترام وسمعة طيبة بين مختلف طبقات المجتمع الروماني وبتقّة كبيرة وحماية قانونية يستمدونها من قوة شخصية كل الأباطرة اللذين عينوهم في مناصبهم. مع بداية مرحلة الإمبراطورية السفلى وتصادم متزايد للاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية المتكررة قللت من قوة شخصية الأباطرة ومن فعالية إصلاحاتهم فكانت إصلاحات دقلديانوس ثم إصلاحات قسطنطينوس الكبير معتمدة على جعل الإدارة مركزية لمنع التهرب الضريبي وضمان وصول الإيرادات إلى الخزنة الإمبراطورية. نتج عن هذه الإصلاحات استقرار نسبي في إدارة الموارد الحيوية خاصة في مقاطعات شمال إفريقيا، والفضل في ذلك يرجع لخبرة الفرسان الذي تم تجنيدهم بأعداد متزايدة، وكان دورهم حاسما في الحفاظ على الإنتاجية خاصة الزراعية في تلك المقاطعات⁵³. لكن عندما أصبحت شخصية الأباطرة ضعيفة أكثر ضعفت معها سمعة الفرسان. فكانوا يتلقون العصيان الشعبي والتمرد والتهرب الضريبي والتعدي عليهم في غياب أجهزة أمنية لتوفر لهم الحماية خلال تنقلاتهم الميدانية.

6-2 فرسان إدارة الموارد الزراعية في إفريقيا هم الأكثر كفاءة:

تأثرت المسارات المهنية لهؤلاء الإداريين بخبراتهم في المقاطعات الاستراتيجية والثروة والحوية كشمال إفريقيا، والتي ساهمت أن تكون عامل جذب لهؤلاء المسؤولين الأكفاء، وكلها عوامل عززت الترابط بين المناطق المختلفة في الإمبراطورية الرومانية. هذا ما أثبتته ميري سيبياك (Mireille Cébeillac) في دراستها لمختلف العناصر وخاصة الفرسان الذين ترجع أصولهم إلى مقاطعات شمال إفريقيا، أو اللذين اشتغلوا فيها في إدارة موارد القمح الإفريقي، كان له الأثر الكبير. حيث ساهم المجال الجغرافي في تعزيز قدراتهم في إدارة الموارد وضمان جودتها وتسيير ملكيات أراضي الإمبراطورية وفي اكتسابهم لمهارات وكفاءات عالية .

⁵² DE Leat S. J.,...art-cit, p. 531.

⁵³ Christol, M., « L'administration et la gestion des ressources de la province ...art-cit, pp. 219-246.

فهذه النقيشة (*quus procurator de l'annone à Ostie*), (*Praef coh. I Flavia Musl*) المؤرخة 112.115م ورد في نصها اسم وكيل الأتونا مجهول الهوية، اشتغل هذا المنصب في أوستيا بعدما اكتسب خبرة عسكرية في قيادة كتيبة عسكرية في موريطانيا القيصرية⁵⁴. وهناك مثال آخر عن فارس إفريقي *Q. Calpurnius Modestus* مسجل في قبيلة كوبرينا. تم تعيينه كوكيل ألبيوم (*Procurator Alpium*) بعد أن أكمل عهده كوكيل في أوستيا. أشرف كالبورينوس موداستوس على أنونا أوستيا، فكان مسؤولاً عن إدارة الموارد والضرائب وتنظيم نقل البضائع بين إفريقيا والأسواق الرومانية. كما ساعدت وظيفته السامية بالتأثير على الأنشطة الاقتصادية وأن يتفاعل مع الشركات أو المجموعات التجارية لتسهيل التعاملات التجارية. في نص إهدائي له مؤرخ بمنتصف القرن الثاني، قامت ماركاتوراس فرومنتاري *Mercatores Frumentarii* بتكريمه. وهو ما يشير إلى تأثيره، نفوذه وكفاءته والاحترام الذي ناله خلال حياته المهنية⁵⁵.

ترجع أهمية هؤلاء الفرسان الأفارقة إلى أدوارهم المميزة في كونهم كانوا يتحكمون في شريان الاقتصاد الروماني الذي كان يرتكز على مصدر السلع والبضائع الإفريقية الأساسية وتحكمهم في المعاملات والطرق التجارية خاصة البحرية وكل عمليات توزيع الغذاء من أوستيا إلى روما، مما عزز الكفاءة اللوجستية للميناء. وكان مصير روما والميناء الذي أسسه تراجان بمرافقه ومؤسساته وأنشطته التجارية من نقل، تخزين، قياس وأمن كلها في يد مجموعة من الفرسان الأفارقة الذين أصبحوا على رأس شركات كبرى محققين بذلك ثروات وأرباحاً كثيرة، خاصة من تجارة القمح⁵⁶، وعزز مركزهم السياسي وساهم في صعودهم ورفيهم الاجتماعي⁵⁷.

وما يميزهم أيضاً عن فرسان القطاعات الأخرى كونهم أصبحوا يحملون لقب *procurator utriusque portus* بدلاً من *procurator annonae Ostia ou Ostis*. يشير هذا التغيير إلى مركزية الوظائف الإدارية⁵⁸. كما يعكس تولي أفارقة مناصب رئيسية في أوستيا على شبكة نفوذ قوية، حيث تم تقييم المهارات الإدارية والعسكرية المكتسبة في مدنها الأصلية والتي ساهمت في تحقيق التكامل الاقتصادي مع مدن الإمبراطورية الرومانية⁵⁹. كما يوضح لنا الارتباط المدني المزدوج للفرسان ذوي النفوذ من خلال الأدوار التي أؤكلوا بها كالإشراف على عمليات الإمداد، النقل، مراقبة الجودة والوزن والتخزين والأمن.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة يمكن أن نفهم أن وجود عناصر من نظام الفرسان في الإدارة المدنية الرومانية عن طريق استقدامهم من طرف الأباطرة، كان بهدف الاعتماد عليهم في تجديد وتطوير إدارة مختلف القطاعات الأساسية والحساسة في مختلف المقاطعات الإمبراطورية. ووقع الاختيار عليهم لكونهم قد اكتسبوا مهارات وخبرات في التسيير والتبوير خلال

⁵⁴ Cebeillac-Gervasoni M.,...art-cit, p.52.

⁵⁵ *Ibid*, pp. 47-59.

⁵⁶ *Id.*

⁵⁷ *Ibid*, pp. 56-57.

⁵⁸ Christol, M., « *Procurator annonae et procurator utriusque portus au III^e siècle : L'évolution vers une seule fonction ?* », *Mélanges de l'Ecole française de Rome-Antiquité*, 130(2), 2018, p. 384.

⁵⁹ Cebeillac-Gervasoni M.,...art-cit, p. 53.

أداء مهامهم في المنظومة العسكرية. وهذا ما دفع بالأباطرة إلى تعيين عناصر منهم لتوجه إلى إدارة مختلف القطاعات المهمة في المقاطعات الرومانية. هذا ما جعلهم يظهرون بكثرة وفي مختلف الهياكل الإدارية الرومانية وفي جميع مقاطعاتها.

تعبّر هذه السياسة عن ذكاء أغسطس حيث تفتن إلى أن الفرسان لهم خبرات ومهارات كانوا قد اكتسبوها في دورهم القيادي في القطاع العسكري، لذا فبدلاً من تسريحهم إلى التقاعد أستغل قدراتهم في مجالات القطاع المدني. بذلك تولى الفرسان مهام الإدارة والإشراف على المؤسسات والمشاريع المدنية. وكانت مساهمتهم كبيرة في التنظيم وحفظ النظام والأمن وفي تطور المدن الرومانية. وهذا ما يعكس براعة وبرجماتية روما، وهذا ما دفع الدول المعاصرة المتطورة كالولايات المتحدة الأمريكية إلى أن تتبع نفس النهج.

نتجت عن هذه السياسة الكثير من الإيجابيات. إذ أمكن روما من تطوير إدارتها وتحكمها في تسيير مختلف مواردها وأراضيها، وساعدها على التقليل من شأن ونفوذ أعضاء مجلس الشيوخ وفي مساهمة الفرسان في تطوير بلدانهم الأصلية، لكن في مقابل ذلك له أيضاً نتائج سلبية، ظهر تحول كثير من عناصر هذه الفئة إلى ملاك إقطاعيين، استغلوا ضعف شخصية الأباطرة لتسخير الإدارة العامة لصالحهم. كما كان ارتفاع عددهم في الفترة الأخيرة من عهد الإمبراطورية الرومانية كان عامل الإثقال الضريبي والبيروقراطية للشعب الروماني، ساهم في إضعاف وتشويه سمعتهم وفي تصاعد الحروب الانفصالية.

ركزنا في هذه الدراسة على تقديم الأمثلة عن الفرسان اللذين كانوا من أصول إفريقية لنبيّن كيفية تأثير المهارات والخبرات التي اكتسبوها من أداء مهامهم العسكرية في تسييرهم لأزمات نقص الإنتاج الفلاحي خلال فترات الجفاف التي كانت تشهدها المنطقة. وازدياد أعدادهم وتوسع ميادين عملهم إلى المسؤوليات المالية، التجارية والقضائية. وبروز فئة منهم اعتمدت على ديناميكيات مواطنهم لإثراء أنفسهم وتوسيع نطاق أعمالهم الاقتصادية، فجمعت هذه الفئة بين ملكيات الأراضي ومسؤولية الإشراف على كل مراحل ووسائل الإنتاج الزراعي خاصة القمح. فأصبح الإنتاج الفلاحي في شمال إفريقيا تحت تصرفهم وهذا من تحصيل الضرائب وتوزيع الموارد وعمليات نقل الأساطيل إلى موانئ روما.

المراجع البيبليوغرافية:

1. المصادر:

Année Epigraphique

-AE, 1907, 1912, 1920.

Corpus Inscriptionum latinarum

-CIL, VIII, 2757.

Inscription Latines de l'Algérie.

-*ILAlg.* t. 1, I, II.

Code :

-Cod. *Théodosien*, IX, 20, 1.

-Cod. *Justinien.*, IX, 21 ; 31, 1.

-*GARGILIUS MARTIALIS*, Maire, B. (trad) 2002, Les Remèdes tirés des légumes et Fruits, coll.367, Les Belles Lettres, paris.

-*GARGILIUS MARTIALIS*, Zainaldin, J-L, (éd), 2020, The Agricultural Fragments, Presses de L'Université de Cambridge, 60.

-Pline L'ancien, Desange, J. (trad), 2003, L'Histoire Naturelle, livre V, 1^{er} partie, coll. Des Universités de France Série latine-collection Budé, 245. Les Belles- Lettres, Paris.

2. الأرشيف:

-Recueil des Sociétés des Archives de la Commune (RSAC), (1906), n° 419.

3. الكتب:

-Daguet-Gagey, A. (2011). *Auguste et la naissance des services publics à Rome* : (Dir.) Stéphane Benoist, Anne Daguet-Gagey et Christine Hoët-van Cauwenberghe, *Figures d'Empire : fragments de mémoire. Pouvoirs et identités dans le monde romain impérial*, (éd.) Presses universitaires du Septentrion, Villeneuve, 2011, P. 341-360. <https://books.openedition.org/septentrion/68384>.

-Martin, J-P. (2003). *Histoire romaine*, Armand Colin, Paris.

-Petit, P et Le Bohec, Y. (2007). *Rome et l'Empire romain- Le Haut Empire*, Encyclopædia Universalis, Digital Versatile Disc (DVD).

-Pflaum, H-G. (1960-1961). *Les Carrières procuratoriennes sous le Haut-Empire romain*, Paris.

-Rickman, G. (1980). *The Corn Supply of Ancient Rome*, Oxford University Press.

-Rickman, G. (2001), *Rome, de la Cité-Etat à L'Empire : Institutions et vie politique*, Hachette.

-Rougé, J. (1991). *Les Institutions romaines de la Rome royale à la Rome chrétienne*, Armand Colin, U2, Paris.

-Spaul, J. (2000). *Cohorte : Les preuves et une brève histoire des unités d'infanterie auxiliaires de l'armée impériale romaine*, British Archaeological Reports, BAR International Séries 200.

-Van Berchem, D. (1940). *Les distributions de blé et d'argent à Rome sous l'Empire*, Georg et Cie, Genève, compte rendu de De Laet Siegfried J, in *L'Antiquité Classique Année 1940*, 9(1), pp. 197-198. https://www.persee.fr/doc/antiq_0770-2817_1940_num_9_1_3112_t1_0197_0000_2.

4. الأطروحات:

-Leydier-Bareil, A-M. (2006)., Les arcs de triomphe dédiés à Caracalla en Afrique romaine, architecture et urbanisme, politique et société, thèse de doctorat en histoire de l'art et archéologie, sous-direction de Pr. Yves Grandjean, décembre, université Nancy2. 2006.

5. المقالات:

- Ballu, A, (1988). *BCTH*, 2^e livraison, Paris.
- Cagnat. R, (1911), *BACTH*, Paris.
- Cébeillac- Gervasoni, M, (1990). Ostie et le Blé au II^e siècle ap. J-C, In. Le Ravitaillement en Blé De Rome et des centres urbains des débuts de la République jusqu'au Haut-Empire, *Ecole Française de Rome*, Naples- Rome, coll. CJB, 11 ; coll. EFR, 196, 47-59.
- Ceraudo, G. (2011). « La via Triaina : Découvertes récentes ». *Dossiers d'archéologie*, 343.
- Christol M., (1994). « Le blé africain et Rome. Remarques sur quelques documents ». In. Le Ravitaillement en Blé De Rome et des centres urbains des débuts de la République jusqu'au Haut-Empire. Acte du colloque international de Naples, 14-16 Février, 1991. Rome : *Ecole Française de Rome*, 196, p. 295-304. https://www.persee.fr/doc/efr_0000-0000_1994_act_196_1_4679.
- Christol, M. (2006). « L'administration et la gestion des ressources de la province d'Afrique à la transition du Haut-Empire et du Bas-Empire ». *Cahiers de Centre Gustave Glotz*, 17, 219-246. Doi : https://doi.org/10.3406/ccgg_2006.912.
- Christol, M. (2018). « *Procurator annonae et procurator utriusque portus* au III^e siècle : L'évolution vers une seule fonction ? », *Mélanges de l'Ecole française de Rome-Antiquité*, 130(2), p. 375-386. Doi : <https://doi.org/10.4000/mefra.6391>.
- David, J-M. (1977). « Réformes des administrations de l'annone et des domaines en Numidie, pendant la persécution de Valérien (257-260), à propos de *CIL*, VIII, 2757 ». *Antiquités Africaines*. 11, 149-160.
- De Leat, S-J. (1941). « La composition de l'ordre équestre sous Auguste et Tibère », *Revue belge de Philologie et d'Histoire*, 20(3-4), 509-531. Doi : <https://doi.org/10.3406/rbph.1941.1621>.
- Dupuis. X.,(2016) *Aelius Lanuarius*, curateur et avocat du fisc en Afrique au III^e siècle, *Cahiers de Centre Gustave Glotz*, 27, pp.377-396.
- Edmondson, J., (2011), Les provinces hispaniques et l'impact du pouvoir romain : l'exemple de la Lusitanie (Fin du I^{er} siècle av. J.-C. –fin du II^e siècle ap. J.-C.), Van Ruymbeke, Th (trad.). In : *Rome et L'Occident (II^e siècle av. J. C., -II^e siècle apr. J. C.)*, Presses Universitaires de Rennes, Rennes, 2011. p. 253-286. URL : <https://www.pur-editions.fr>.
- France, J. (2007). « Fiscalité et société politique romaine », In. Rome et l'Etat moderne européen, *Publication de l'Ecole Française de Rome*, 377, Rome, 365-380.
- Leveau, Ph. (1973). « L'aile II des Thraces, La tribu des Mazices et les *praefecti gentis* en Afrique du Nord », *Antiquités Africaines*, 7(1), p. 153-191. Doi : 10.3406/antaf.1973.1450.
- Moderan, Y. (1998). « *Gildon, (Gildo)* », *Encyclopédie berbère*, 20, 3134-3136. <https://doi.org/10.4000/encyclopedieberbere.1928>.
- Perrin, Y. (2021). « L'Etranger à Rome au Haut-Empire, ou des vertus et des limites d'un questionnement anachronique ». Dans P. Chuvin (éd), *Etrangers et Sociétés* (pp. 27-44), Rennes : Presses Universitaire de Rennes.

- Poinssot, L., (1939). « *M. Vettius Latro*, procureur de Maurétanie Césarienne ». In : Comptes rendus des séances de *L'Académie des Inscriptions et Belles- Lettres*, 83(2), p. 138-150. Doi://<https://doi.org/10.3406/crai.1939.77145>.
- Tran, N. (2006). Introduction générale, In. *Les Membres Des Associations Romaines : Le rang social des collegiati en Italie et en Gaule, sous le Haut-Empire*, coll. de L'Ecole Française de Rome, 367, Rome, 1-41.
- Vannese, M. (2010). « L'armée romaine en occident sous Stilchon (395-408 ap. J.-C) : le témoignage des décrets impériaux », *Revue belge de Philologie et d'Histoire*, 88(1), 2010. Antiquité. 99-112. Doi :<https://doi.org/10.3406/rbph.2010.7794>.

6. القواميس والموسوعات:

- Jaurès, J. *Advocatus Fisci*. Le Dictionnaire des Antiquités Grecques et Romaines De Daremberg et Saglio. <https://dagr.univ-tlse2.fr/consulter/89/Advocatusfisci/texte>.
- Levasseur, E. (2005). Les collèges professionnels à Rome et en Gaule, *Encyclopédie de L'Agora*. https://agora.qc.ca/documents/Profession--Les_colleges_professionel à Rome et en Gaule.
- Martin, J-P. (2017). Préfet Romain, *Encyclopaedia Universalis*. Universalis.fr.
- « Ordre équestre », , *Le dictionnaire de l'Histoire*. https://www.herodote.net/ordre_equestre-mot-569.php.